

كان لديها شعور مشترك بالراحة والدفع . ولم ينقصها شيء . لقد انتهت من الطعام قبل قليل وجثمتا الى جانب بعضها في شمس الظهيرة الدافئة واخذتا تحلمان احلام النهار وتتسلمان بهدوء انفاس الربيع المقبل تهب عليهما من الحقول القريبة .

كان بعض الاطفال بثيابهم الملونة يشيرون ضجة على السدة . والرجال والنساء في حركة مستمرة . وكانت اصوات تنبعث من الاكواخ والبساتين المشتبكة وراءها . وضجيج مثل ضجيج العيد يرتفع في الفضاء — ضجيج فقير بالمرح والسرور تسوده خيبة امل كالتي تسود اعياد الفقراء في كل مكان . ولكن لم يكن شيء من ذلك ليضير الصديقتين او ينتزعها من حلمهما الدافئ المنساب الى شواطئ مجهولة . كان الشعور بالامتلاء يغمر نفسيهما . وكانتا تنظران الى بعضهما احياناً الى دوامات النهر الذي اضحى بلون الطين وارتفع حتى لامس حوافي الشاطئ . او تصغيان برهة الى ضجيج الاطفال وهدير النهر الثائر واصوات القاطنين في الاكواخ التي تسرب اليها الماء وغمر قاعها . ولكن لم يكن شيء من ذلك ليخرجها

من عالمها المنعزل القصي . كانتا في مأمن من كل شيء . . .

تنعمان بدفع الشمس والشعور اللذين بانها قريبتان من بعضهما كل ذلك القرب . . وتلوكان

تحت النخيل السامق احلام نهار جميل عابق بانفاس الربيع المقبل . في الليل كان هدير النهر الثائر يملأ الفضاء . ويطل عليهما — على السقيفة وعلى العائلة باجمعهما — قمر شاحب يتسلل بين الغيوم . والرياح تصفر اغنية حزينة في رؤوس الاشجار . وتحت رذاذ الظلام الرمادي كانت تتحرك اشباح ومخاوف غريبة انتزعت منها دفء النهار وبقايا الاحلام المشعشة اللذيذة . فالتصقت الصديقتان ببعضهما تنشدان الدفع واخذتا تتأملان بصمت حزين وترسلان انفاسها الهادئة عبر الظلام .

وكانت حركة صاخبة عند الفجر . اشباح تضطرب هنا وهناك . والفانوس يتألق في يد احدهم . وقطرات كبيرة ثقيلة من المطر تنزل على ظهرهما . واصوات الهلع والفرع في كل سقيفة . والهدير الجبار واثنين الريح المعولة في رؤوس الاشجار . كانت السماء قطعة واحدة سوداء . وكان وجه رب البيت يلتمع في ضوء الفانوس الأسخم ، يأمر العيال بالرحيل . وتشتد الحركة

الصاخبة ويخرج الحمار أولاً متهادياً محملاً بالمتاع وتبعه الاسرة جميعها . . . وتخوض الصديقتان في الماء عندما تعبران الى العراء . ماء ثقيل يسفل من السماء . وماء تجبه الارض النشوى بالهدير المجنون . وتغرق الاكواخ . وتبقى منها هياكل من القصب والحصير وعلاميد الطين المنهار . اشباه منازل . اشباه زرائب فارغة تعصف بها الريح . وتسير الصديقتان خافضتي الرأس . . . تتبعان الاسرة المشردة نحو ارض قد تكون بعد كل ذلك العناء صلبة ثابتة في منجى من الفيضان .

لغط كثير في العراء . وحركة لا تكاد تستقر . والشمس تنشر نسيجاً هزيلاً يتهاوت على المتاع المبعثر فوق الارض . تراث رخيص لحيات كثيرة رخيصة . وماض مدلم يبدأ انطلاقه بمجهاد شاق وينتهي افقه عند هلال من خبز فطير . وموت في الحياة بطيء وموجة من البورد الطاعني ترعش جلد الارض . عند الظهيرة همد الضجيج وتفرق الافراد جماعات صغيرة — نقطاً ضئيلة مبلولة لاصقة بالارض . وبقيت الصديقتان وحدهما تحت نخلة مستوحدة عجفاء

تطل عبر الدهور بثبات غريب . دائرة صغيرة من الارض هي كل ملكهما الآن . ولم يعد اهلوهما يملكون شيئاً . كانوا على مقربة منها يلغطون

ويتشاجرون . وكان صوت رب الاسرة يدوي في العراء . وسعف النخلة يرسل حفيفاً متقطعاً وانياً يثير النعاس والاحلام الحزينة والذكر البائرة . وكان صوت رب الاسرة يدوي في العراء . وكان يبصق على الارض بحق .

« لا ، لن اتنازل عن هذه الجبلية الحمراء .

انها تدر سطلين من الحليب كل يوم .

وحتى السوداء . . آه لو لم اكن في ضيق لما بعته .

خذها خذها انها كريمة الاصل كأختها الجبلية .

خذها انها فلذة مني . انها جزء من حياتي .

خمس سنين عشت معهما ، آه طفلتي . وهما صديقتان صديقتان .

لا تكادان لحظة تفترقان . كل يوم معا . . كل يوم منذ

خمس سنين .

ويلى عليهما . بل ويلى على نفسي . ماذا اكون بعدهما ؟

الصديقتان

قصة هدية بقلم عبد الملك بوعرب

الى الأمل الذي لا يموت

ذكراك حافلة، كينبوع على بلدي، يمد
وصداك متصل النوى، وخطاك اكبر أن تبدي
في موطني تحيا، وفي عرق المدائن، والوريد

★

في كل نبض من حياتك، نابض قلب وليم
وبكل حرف من بيانك، ذائب حب جديد
فالأرض سيمفونية... في كل منطلق نشيد

★

لفتات وجهك هزة، في الموطن النائي البعيد
ونهوض خطوتك الشديدة نهوض إنسان شديد

★

حيث التجهت، دم يغنيننا، فيلتفت العبيد،
ورنين أحرار يهب - تقول بهل سكت الحديد؟
وجبين طفل، كالصباح امتد في الحقل المديد.

★

الطيبون هنا، أيادي، من عطائك تستزيد
أهبت، بالأمل الوري، فبكل ضلع منه عيد

★

لمحبتتي إياك، أصفيت الهوى وطني الشهيد.

نصوح فاخوري

حمص

اوه خذها خذها. خذ السوداء قبل ان انفجر كالمرأة بالبكاء»
وكانت البقرة السوداء قد اخرجت لسانها الوردي العريض
واخذت تلحس به رقبة صديقتها الحمراء، والجرأ كانت تجتر
بالتذاذ هادىء ما التقطته من أعشاب في الصباح. وتأنىءل في
النسيج الفضي البارد الذي تذرده الشمس الباهتة من عليائها.
ولعلها كانت تسترجع من ظلمات يافوخها العميق ذكريات جبل
شامخ غطي سفحه القديم بالجليد.

كانت السباح السوداء تحيطها من كل جانب. وذرات
الملح تقبس شيئاً من الشعاع الفضي الغارب وتلتمع كالنجوم في
اخاديد الطين النخين. والمساء ينمو دقيقة دقيقة. ويشيع في
السباح هوداً اشبه بالموت وشعوراً كئيباً بالفراغ تخلف عن
جلبة نهار لاغب طويل.

لقد ارتفع صوت اشبه بالنواح من وراء الصديقتين. وكان
رب الاسرة يشتم العيال وينهال عليهم بضرب شديد. ثم هدأ
كل شيء فجأة. وعادت النخلة ترسل اغانيها الشجية في الفضاء.
واسترسلت الصديقتان في احلامها المظلمة الحزينة. وهما تجتران
بهدهوء ما تناولتا اثناء النهار من طعام.

لقد جاء احدهم. كان يقترب منها. شبح قائم في الضوء
الرمادي. وكان هزياً ملثماً تلتمع عيناه الصغيرتان بين اطواء
الثام. وامتدت الى العقدة التي تربطها يد يابسة سمراء طوحت
بالجلب باعداد مقيت وضربت به على ظهر السوداء ضربتين
قاسيتين. ولم تكونا تدريان كيف حدث كل ذلك. لقد
ارتفع نواح مخنوق من ورائها، ثم همد. وكان رب الاسرة
يصبق على الارض بجنق.

واذ ركت الجرأ انها وحدها. بقيت وحدها في العراء.
وصديقتها السوداء تغيب وراء صاحبها في الافق البعيد -
نقطتان مظلمتان تتحركان في الافق البعيد. ولم تعد ترى شيئاً.
كان فراغ هائل يملأ نفسها. وداع خمس سنين من الحياة -
الحياة التي لن تعود. واساحت برأسها عن الافق. وارتفع من
اعماقها المظلمة ثغاء أليم. ثغاء طويل حزين اخذ ينتشر في ظلمة
الليل فوق السباح الهامدة السوداء.

كانت النخلة العجفاء وحدها تطل بشتات فوق القفر
الجائع الزاخر بالموت البطيء. وترسل اغانيها الشجية عبر
الدهور.

عبد الملك نوري

بغداد